وليمة الشيطان

مسرحية

الشخصيات

الرجل

المرأة

ذو الوجه الأرنبي

ذات الملاءة السوداء

ذو الذراع المبتورة

ذو اللحية الزرقاء

الرجل المريض

السيد نون

تابع نون

(المكان : قصر أثري قديم، على جدرانه ونوافذه وأبوابه نقوش وكتابات من مختلف العهود: مسمارية ورافدية ويونانية ورومانية، ومقرنصات عربية، وتتوضع في أركان من الجدران عبارة «لا غالب إلا الله» بالخط الأندلسي المغربي.

مقدمة المسرح تشكل باحة القصر الذي تجري فيه الأحداث. وفي الباحة شجرة عارية من الأوراق جذعها منخور. في ركن المسرح الأيمن سبيل ماء يعلوه رأس ثور مطلي باللون الذهبي وهو بفم مفتوح من المفترض أن يخرج الماء من فمه ولكن لا ماء والحوض جاف. وفي الركن الأيسر من المسرح جانب من كتلة مرتفعة تمثل جبلاً ترتفع من فوهته النار التي تعلو تارة وتنخفض أخرى وهو يقذف الغبار والرماد.

في وسط وعمق المسرح ستارة مسدلة بعرض متر ونصف تقريباً كالستائر التي توضع ليحضر المسؤول ويدشن مشروعاً ما، وأمام الستارة طاولة واطئة صغيرة (أو إفريز) وعليها كتلة من الطين ومجحاف في انتظار

حضور المسؤول للتدشين. وعليها أيضاً سكينان مدببتان مغروزتان على جانبي خشب الطاولة.

على خط المنظر وفي يمين المسرح تجلس امرأة في الأربعين تلبس الثياب البيض وتحزم شعرها بمنديل أبيض وهي منهمكة في غزل الصوف بمغزل يدوي نصفه أسود ونصف أبيض.

وفي مقابلها يسار المسرح على خط المنظر يجلس رجل في الخمسين يلبس الثياب البيض وعلى رأسه عقال وكوفيه وهو يعزف على الربابة ويغني بين الحين والآخر. وهما في حقيقة الأمر طيفان من عالم الموتى يراقبان الأحداث.

بقعة ضوء على الرجل وهو يعزف على الربابة ويغني، وأخرى على المرأة وهي تغزل الصوف).

- المشهد الأول -

الرجل : (يعزف على الربابة ويغني)

أوف.. أوف

يا ليلَى كيف أحوالِك بعِدْنا

فداك بروحنا وعنك بَعُدنا

.. (المرأة تقاطعه قبل أن ينهي المقطوعة)

المرأة : **(وهي تغزل)** ومَن ليلى هذه التي تفديها بروحك؟ أكنت تحب واحدة غيري؟ **(تقول ذلك من غير تأثر أو انزعاج أو عتاب).**

الرجل : ليلى مجرد اسم يتغنى به كل الشعراء، إنه مجرد وعاء تنصب فيه كلمات الأغنية، مثل الكأس بالنسبة للخمرة. هل انزعجت؟

المرأة : لا يغضبني أن تكون قد أحببت واحدة أخرى غيري. هنا في هذا الكون تمَّحي الأحقاد وعواطف الكره والغضب، ولكن غنِّ لي موّالاً آخر. يجب ألا ننسى شقاءنا الأول وإلا فقدنا وجودنا.

الرجل : حاضر.. **(يتذكر)** كانت أياماً صعبة، فقدنا كل شيء حتى البيت والأهل والوطن.. كانت أياماً علا فيها اللئام وهوى الكرام **(يعزف ويغني)**.

الدهرْ إن جادْ يُمنى يَرد يسراها **(اليد اليسرى)**
عالدّوم تلقى يسيراً حال يسراها **(اليسر)**
دأْبو يهين السبعْ والدُّون يسراها **(يسرّه)**
والوغد علاّه واخْفَض للرفيع جْناب
كم نوب أدعى الشهمْ بقيود يسراها(*) **(قيود الأسر)**

المرأة : كان صوتكَ يسكرني وأنت تغني في ظل شجرة التوت، كانت ثمارها حمراء بلون العندم.

الرجل : ثم جاء الطاعون فحصد الأرواح والشمس والنغمات العذاب. لا شيء يعلو على طبول الحرب.

المرأة : دعك من الأحزان، هنا مستراح المسافر.

الرجل : حسن. **(مداعباً)** ليلايَ.. ماذا تغزلين؟ هنا لا يوجد حر ولا برد.

المرأة : أغزل الليل والنهار، انظر **(تفتل المغزل)** لا الليل سابق النهار وكل في الشقاء غائصون.

الرجل : هُم.. أما نحن فقد خلصنا من الشقاء.

(تختفي بقعتا الضوء عنهما وترتفع قليلاً أنوار المسرح)

(*) موّال خمساوي من الأدب الشعبي.

- المشهد الثاني -

(سوف يدخل الممثلون الذين يطالبون بميراث الرجل المريض وهم أقارب وجيران وغرباء، جاؤوا من جهات الأرض الأربع، وجوههم مطلية بالماكياج الثقيل بحيث يشكل قناعاً (على الطريقة الصينية) ويأخذ القناع إن أمكن شكل ألقابهم التي سُميت بها شخوصهم، عدا المرأة ذات الملاءة السوداء والتي تمثل دور الأم فإنها تبقى بوجهها النضر الحزين.

ضربة موسيقية ويدخل ذو الوجه الأرنبي، وله وجه يشبه وجه الأرنب ويحمل بيده مغلفاً).

ذو الوجه الأرنبي: هذا هو المكان بالتأكيد، قصر وشجرة وستارة، الإحداثيات صحيحة، تُرى أين التَّركة التي تتحدث عنها الرسالة؟ **(ينادي)** هيه.. يا أهل هذا المكان.. يا أهل القصر.. هل يوجد أحد؟

الصدى : **(يسمع لندائه صدى تتلوه قهقهة)** هيه يا أهل هذا المكان.. يا أهل القصر.. هل يوجد أحد؟ **(صوت قهقهة).**

ذو الوجه الأرنبي: هذه القهقهة زيادة، كأن هذا المكان تسكنه الجن **(يتجه إلى سبيل الماء، يفتح الصنبور فلا ينزل منه ماء)** أكاد أموت من العطش ولا ماء، حتى الحوض

فإنه جاف، يبدو أن الماء مقطوع منذ زمن طويل. **(يبتعد ويفتح المغلف الذي في يده ويقرأ بصوت عال جانباً من الرسالة)** إذا وصلت فعليك أن تنتظر حتى يحضر الآخرون وإذا حضروا فعليكم أن تنتظروا السيد «نون» **(يقترب من المنضدة متفحصاً بعينيه ما عليها)** سكين، ومجحاف وطين.. ماذا يعني هذا؟ لعلي أجد في الرسالة ما يشرح لي ذلك **(يفتح الرسالة ثانية ويقرأ)** لا مساس حتى يحضر الجميع. **(يغلق الرسالة ويعيدها إلى جيبه ويجلس في ركن المسرح).**

(ضربة موسيقية وتدخل ذات الملاءة السوداء وهي امرأة جميلة في العقد الرابع من عمرها وجمالها من النوع الهادئ الحزين ترسل شعرها على كتفيها، وتلبس ثوباً أسود طويلاً ذيله يمتد فوق الأرض، وتضع شالاً أبيض على كتفيها).

ذات الملاءة السوداء: (تتفحص المكان) إنه المكان نفسه الذي رأيته في الحلم، يشبه قصر ماري أو قصر الحير أو قصر الحمراء. بَنى أولادي القصور ورحلوا.

(تخرج من جيبها شمعة تثبتها على الطاولة وتشعلها)

ذو الوجه الأرنبي : ماذا تفعلين يا امرأة ؟

ذات الملاءة السوداء: أشعل شمعة، هذا مكان مقدس.

ذو الوجه الأرنبي: ومن قدَّسه، أ لأن فيه رمز الثور؟ هذا مجرد سبيل ماء ولا ماء فيه. لعلك ظننته كنيسة أو معبداً لزيوس أو بعل. وهذا الثور ليس بعجل ذهبي له خوار؟

ذات الملاءة السوداء: كل مكان يبنيه أولادي هو مقدس، وأنا أشعل فيه شمعة.

ذو الوجه الأرنبي : ومن أولادك؟

ذات الملاءة السوداء: أولادي كثيرون: ملوك وسوقة، أحرار وعبيد، أمراء وفلاّحون، شرفاء وعَهَرَة، أتقياء وفَجَرة، أنبياء وملحدون، تجار وعمال، أغنياء وفقراء، قضاة ومجرمون.

ذو الوجه الأرنبي: وما الذي جاء بك إلى هنا أيتها الأم ذات الملاءة السوداء؟

ذات الملاءة السوداء: جاءني هاتفٌ في الحلم، حمامةٌ حطت على شجرة زيتونة في داري لا شرقية ولا غربية، وصف لي الهاتف المكان ودعاني للحضور.

ذو الوجه الأرنبي: وماذا قال لك الهاتف؟

ذات الملاءة السوداء: قال: ولدك مريض، وفي خطر، وهو في حاجة إليك. تركت داري وجئت مسرعة.

ذو الوجه الأرنبي: وأين هي دارك؟

ذات الملاءة السوداء: في كل مكان، وفي لا مكان، داري لا يحدُّها مكان ولا زمان.

وأنت يا وجه الأرنب ما الذي جاء بك إلى هنا؟

ذو الوجه الأرنبي: أنا.. وصلتني رسالة سلمها لي عابر سبيل في الليل، تدعوني للحضور.

ذات الملاءة السوداء: وماذا في هذه الرسالة؟

ذو الوجه الأرنبي: (يفتح الرسالة ويقرأ) احضر القسمة وانتزع نصيبك من تركة الرجل المريض.

ذات الملاءة السوداء: هل تعرف شيئاً عن هذا الرجل المريض أو عن الكنز الذي يخلِّفه؟

ذو الوجه الأرنبي: كلا.. لعله أحد أفراد العائلة.. إنها عائلة كبيرة منتشرة في جميع جهات الأرض، من الصعب أن يعلم المرء كل شيء عنها. وأنت هل تعرفينه؟

ذات الملاءة السوداء: كلا.. لعله أحد أبنائي. وهاتفي غير رسالتك، إنهما من مصدرين مختلفين.

ذو الوجه الأرنبي: هذا لا يهم، لقد تركت عملي في مبنى اتحاد الشركات التجارية العابرة للقارات وجئت مسرعاً. إنهم هناك يقرضون بأسنانهم الحديدية الأموال مثلما تقرض الأرانب الجَزَر، ثم يلقونها في بطونهم من غير أن يمضغوها. **(يضحك)**

ذات الملاءة السوداء: وهل أنت واحد منهم؟

ذو الوجه الأرنبي: كلا.. أنا أخزِّنها ثم أمضغها في أوقات الراحة، لديَّ معدة إضافية للتخزين كالخرفان والحيوانات المجترة **(يضحك لنكتته)** هل لديك فكرة عن التركة؟

ذات الملاءة السوداء: ليست لدي أية فكرة.

ذو الوجه الأرنبي: أقدر أنها ثمينة جداً. أنا أحضُر جميع المزادات في العالم، وأستطيع أن أشم رائحة الفائدة، لا بد أن تكون هذه ثمينة ومميزة.

ذات الملاءة السوداء: ليس هنالك ما هو أثمن من الإنسان نفسه، الإنسان سيد الكون ومعجزة الإله.

ذو الوجه الأرنبي: كثيراً ما تدور خلافات وخصومات وحروب حول التركات، الرجل المريض يحاولون أن يقسِّموه.. عفوا يقتسموا ثروته وهو على فراش الموت قبل أن يلفظ أنفاسه.

ذات الملاءة السوداء: وهذا ما أخشاه.

ذو الوجه الأرنبي: ليس من الضروري أن تكون التركة مالاً أو أثاثاً أو قصراً، قد تكون سلطاناً أو امرأة مثل هيلين التي فجرت حرب طروادة.

ذات الملاءة السوداء: أعلم ذلك، وقد تكون أوطاناً بجغرافياتها وجبالها وأنهارها وناسها.

ذو الوجه الأرنبي: الناس.. المواطنون البسطاء.. ليسوا في الاعتبار، ملكيتهم تنتقل إلى السيد الجديد، وإذا لم يعجبهم ذلك يستطيعون أن يموتوا أو يقتلوا أنفسهم أو ينزحوا أو يهاجروا، إنهم مجرد أثاث قديم لا قيمة له.

ذات الملاءة السوداء: يبدو أنك خبير في هذه الأمور، أنت خطير وتبعث على الخوف والقلق.

ذو الوجه الأرنبي: لا تقلقي يا سيدتي أنا مجرد قارض في مبنى كبير مهجور عشش فيه الفساد والإهمال فأصبح مليئاً بالقوارض.

ذات الملاءة السوداء: وتعرف نفسك؟

ذو الوجه الأرنبي: ومن منا لا يعرف نفسه، **(صمت)** لماذا تلبسين الأسود يا سيدتي؟

ذات الملاءة السوداء: أنا في حِداد دائمٍ على أولادي الذين يلقون مصارعَهم.

ذو الوجه الأرنبي: لكن الشال أبيض.

ذات الملاءة السوداء: فليكن حزننا مندّى بالبياض. الندى ليس غيثاً ولكنه تلويحه نديَّة للنبات.

ذو الوجه الأرنبي: أيتها المرأة التي تركت دارها وجاءت مسرعة. هل جئت لتحضري القسمة أيضاً؛ فالأم ترث؟

ذات الملاءة السوداء: أية قسمة، وأي ميراث؟ قلت لك: جاءني هاتف يقول: ولدك مريض وهو في حاجة إليك. الأم لا

تنتظر موت أولادها طمعاً في التركة. خرجوا مني وإليَّ يعودون.. كما تطلع البذرة من الأرض فتصير نباتاً فثمرة ثم تعود إليها بذرة لتطلع ثانية، البذرة تأخذ من الأرض حياتها وقوتها ولا تعطيها شيئاً.. كذلك أنا.. الأم يا ولدي هي روح الأرض التي منها خرجوا.

ذو الوجه الأرنبي: الأم هي روح الأرض! تتكلمين كلاماً عجيباً! **(كمن أدرك المغزى أخيراً)** ها.. فهمت.. أنا آسف، ولهذا تفوح منك رائحة الأرض، كان عليّ أن أدرك ذلك.

(ينحني باحترام ويعود إلى مكانه، وتنتحي ذات الملاءة السوداء ركناً آخر من المسرح وتجلس).

- المشهد الثالث-

(بقعتا ضوء على الرجل يعزف ويغني والمرأة تغزل الصوف)

الرجل:

مـــا لُـــومْ عينـــي لـــو بَكـــت بطيحـــة

ومـا لـوم الأخـرى لـو حَـدَر دمعهـا دم

علــى بــلادي وهَلــي هــالوجوه المليحــة

دوم ينهـضوا للهيجـا وخيـرهم عـم(*)

(إظلام)

(*) من قصيدة شعبية عن قصة الفتاة والعبد، من الأدب الشعبي.

- المشهد الرابع -

ترتفع أنوار خشبة المسرح. ضربة موسيقية ويدخل ذو اليد المبتورة، له وجه قط برّي، كفه الأيسر مقطوع عند الرسغ، ويحمل بيده اليمنى هاتفاً محمولاً يتطلع فيه وهو يتجول في المكان مستطلعاً، يقف تحت الشجرة).

ذو اليد المبتورة: هذا هو المكان بالضبط، مطابق للرسالة المصورة التي وصلتني، واجهة قصر أثري، وجبل ينفث النار، وشجرة عارية. لعلي أجد أحداً أتحدث إليه **(ينظر إلى الأرض)** هذه آثار أقدام. هذه أقدام امرأة وهذه أقدام رجل، لا شك أن هناك من وصل قبلي **(ينادي)** يا ناس.. يا هو و و..

(لا أحد يرد، يبحث في الهاتف المحمول ويقرأ) هذه هي الرسالة القصيرة: احضر القسمة، وعليك أن تنتظر السيد «نون» حتى تحصل على نصيبك.

رسالة غامضة، ما هي التركة، ومن هو السيد «نون»؟

(يصرخ) أنتما أيها الحاضران. إني أحس بوجودكما، لماذا لا تظهران، إن كنتما من الإنس أو الجن فاظهرا ولكما الأمان.

ذو الوجه الأرنبي: (يبرز له) ومن أنت حتى تعطينا الأمان؟

ذو اليد المبتورة: اقصر لسانك يا أرنب إذا كنت لا تعرفني.

ذو الوجه الأرنبي: أوه.. يبدو أنك شخصية هامة أيها القط البري، لعلك من عسس السلطان أو عيونه.

ذو اليد المبتورة: كلا.. لست من الشرطة ولا رجال الأمن. وقانا الله منهم ومن فسادهم.

ذو الوجه الأرنبي: (ساخراً) إذن لعلك ملك أو وزير.

ذو اليد المبتورة: كلا.. لست ملكاً ولا وزيراً. الملوك ينزلون عن عروشهم، والوزراء يصرفون من الخدمة.

ذو الوجه الأرنبي: (ساخراً) آ.. إذن لعلك تاجر له نفوذ كبير في الدولة أو ضابط من الحرس الملكي متمرس بفنون الحرب.

ذو اليد المبتورة: كلا.. لست تاجراً ولا ضابطاً، التجار أصبحوا ضباطاً فهم يقاتلون ويقتلون الناس بسلاح المال والربح الحرام، والضباط أصبحوا تجاراً ولم يعودوا يجيدون فن الحرب.

ذو الوجه الأرنبي: (هامساً) إذن لعلك أحد وجوه المعارضة المسلحة أو الموالين للنظام وقد أصبح حمل السلاح والقتل مهنة من لا مهنة له، ومورد رزق لمن لا عمل له.

ذو اليد المبتورة: أنا لست منها، ولا من عبيد السلطان، فأنا لي أعمالي وأفكاري.

ذو الوجه الأرنبي: لقد عجزت، قل لي من أنت أيها القط المحترم؟

ذو اليد المبتورة: أنا.. ذو اليد المبتورة، مواطن من الدرجة العاشرة **(ينفجران في الضحك)**.

ذو الوجه الأرنبي: حسبتك شخصية هامة وخطيرة.

ذو اليد المبتورة: كل شيء هام وخطير عدا المواطن، حتى الذباب والبعوض أهم من المواطن في هذه المدينة. ألم تسمع بالمثل العربي الشهير: إن البغاث بأرضنا يستنسر.

ذو الوجه الأرنبي: وما الذي جاء بك إلى هذا المكان المهجور.

ذو اليد المبتورة: وصلتني رسالة على هاتفي المحمول يدعوني فيها السيد نون إلى الحضور.

ذو الوجه الأرنبي: وأنا أيضاً وصلتني رسالة مماثلة حملها إليَّ عابر سبيل طرق عليَّ الباب في منتصف الليل.

ذو اليد المبتورة: هل تعرف السيد نون؟

ذو الوجه الأرنبي: كلا.

ذو اليد المبتورة: قسماً بيدي المبتورة إنه لشخصية هامة جداً.

ذو الوجه الأرنبي: أو شخصية لا وجود لها إلا في رؤوسنا.. من يدري..؟

ذو اليد المبتورة: الأمر محيِّر فعلاً وبخاصة وأنه يدعو الجميع إلى انتزاع نصيبهم من تركة الرجل المريض.

ذات الملاءة السوداء: (تبرز لهم من مكمنها) عودوا إلى بيوتكم، هذه مكيدة، وستؤدي إلى صراعات دموية، الأمر خطير جداً، أحفظوا عليكم أنفسكم وعائلاتكم وأوطانكم.

ذو اليد المبتورة: ولكنكِ أنتِ حضرتِ لتشاركي في الوليمة.

ذات الملاءة السوداء: أنا لم أحضر لأشارك بشيء وإنما حضرت لأحذركم وأدعوكم إلى استخدام عقولكم والعودة إلى بيوتكم.

ذو الوجه الأرنبي: أنا لن أعود بعد أن تحملت مشاقة الطريق الطويلة.

ذو اليد المبتورة: وأنا أيضاً لن أعود. إذا عدت سأشعر بأنني ضحيت بيدي المبتورة عبثاً. **(يتجه نحو سبيل الماء ويفتح الصنبور).**

ذو الوجه الأرنبي: دعك من الماء، إنه مقطوع، واحكِ لنا كيف فقدت يدك؟

ذو اليد المبتورة: فقدتها في البحر.

ذو الوجه الأرنبي: وكيف حدث ذلك؟

ذو اليد المبتورة: القضية معقدة، كنت في البداية بحّاراً أحمل في مركبي مهاجرين غير شرعيين، وهاربين من بلاد نخرتها الحروب وساد فيها الفقر والخطف والموت والقتل على الهوية. كنت أحملهم من شواطئ الفقر والفتن إلى شواطئ الأمن والغنى. كنا نتقاضى منهم أموالاً طائلة، ونحشو

مراكبنا بما يفوق حمولتها من الناس والعتاد، أو أن هذه المراكب تكون عتيقة وغير صالحة للإبحار فيغرق الكثير منهم، حتى أصبح البحر مقبرة لهم، ولم نكن نأسف على أحد مادمنا قد وضعنا أجرته في جيوبنا، وأحياناً يطول بنا الطريق ويثور البحر فنرميهم في أقرب جزيرة وغالباً ما تكون غير مأهولة.

ذو الوجه الأرنبي: قلت القضية معقدة وقد سمعنا قسمها الأول، اختصر واحك لنا النهاية.

ذو اليد المبتورة: أصابتني صحوة ضمير فتركت العمل في هذه المراكب وصرت صياداً، وذات يوم اصطدت سمكة كبيرة وربطتها بالقارب فهاجمتني أسماك القرش تنهش من هذه السمكة وأنا أضربها بالمجداف تارة وبحربة طويلة تارة أخرى وانتهى الأمر بأن قضمت سمكة قرش على غفلة مني يدي.

ذات الملاءة السوداء: يا بني أنت تكذب، هذه قصة الشيخ والبحر لهمنغواي، ثم إنك جئت من بلد لا بحر فيه فكيف صرت بحاراً؟

ذو اليد المبتورة: أوه.. صحيح.. ربما قرأتها فتأثرت بها، كان يجب أن أكون كاتباً فخيالي واسع، يا سيدتي ما يحدث اليوم من دمار وقتل وإفناء للجنس البشري هو ضرب من الخيال فلماذا تلومينني على مخيلتي.

ذو الوجه الأرنبي: إذن احك لنا قصتك من غير خيال.

ذو اليد المبتورة: كنت معلماً في مدرسة وكنت أخرِج لطلابي مسرحية عن الاستقلال، وأردت أن تكون المعركة مع العدو فيها حية فانفجرت في كفي بالخطأ كمية من البارود فصارت كما ترونها الآن.

ذات الملاءة السوداء: وهذه أيضاً حكاية رجل عالم نعرفه جميعاً(*).

ذو الوجه الأرنبي: لقد مارسْتَ هوايتك في الخيال فهات الحقيقة الآن.

ذو اليد المبتورة: آه.. قصتي أغرب من الخيال، لو كتبت بالإبر على آماق البصر، لكانت عبرة لمن اعتبر(**).

ذو الوجه الأرنبي: هذه بدايات قصص ألف ليلة وليلة، قلنا أعطنا الحقيقة يرحمك الله.

ذو اليد المبتورة: (مازحاً) حاضر يا مولاي..

كنت في قرية آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغَداً برغم ما فيها وفي مخاتيرها من هنات، مدنها عامرة، وشواطئها آمنة، فكفرت بالنعم، ثم عصفت رياح الفتن فيها، وهاج البحر وأزبد بها

(*) هذا ما حدث مع علاّمة حلب حين كان يخرج للطلاب مسرحية استقلال أمريكا ليحرضهم على مقاومة الانتداب الفرنسي في سورية.

(**) عبارة تراثية تقدم بها بعض قصص ألف ليلة وليلة أو القصص الشعبي.

وبمراكب القرى من حولنا، قُسِّمت البلاد وأُذِلَّت العباد، ودخل على قريتنا رجال لهم لحى زرقاء طويلة وثياب غريبة صاروا حكامنا وادَّعوا بأن حكمهم هو الحكم الصحيح، نهبوا الآثار وفجروا المعابد والتماثيل القديمة، وأحرقوا المكتبات، ثم اتهموني بالسرقة وقطعوا يدي، واتهموا صديقاً لي بأنه يدخن السجائر فقطعوا إصبعيه الوسطى والسبابة، وذبحوا وحرَّقوا آخرين بدعاوى مختلفة.

ذات الملاءة السوداء : إذن فقد سَرقت.

ذو اليد المبتورة : مجرد تهمة يا سيدتي.

ذو الوجه الأرنبي : لا دخان بلا نار.

ذات الملاءة السوداء : ولا نار بلا دخان.. يجب أن نصدق جانباً مما يقول.

ذو الوجه الأرنبي: لقد أرهقنا هذا الرجل بحكاياته، دعونا نخلد إلى الراحة قليلاً في انتظار السيد نون.

(إظلام)

- المشهد الخامس -

(بقعتا ضوء على الرجل وهو يعزف على الربابة والمرأة تغزل وتغني).

المرأة:

لا يـــا حكـــيم الجـــاي لا تلمــــس لإيـــــدي
مـــاش نبـــضي ينبيـــك روحـــــي بوريـــــدي(*)

الرجل : عندما سمعتك تغنين هذه الأبيات خلعتِ عقلي فخطبتك من أهلك. هل هي من نظمك؟

المرأة : طبعاً هي من نظمي.

الرجل : وماذا يسمى هذا النوع من الشعر والغناء؟

المرأة : لم تسألني من قبل هذا السؤال، يسمى نظم البنات.

(تستمر في الغناء والرجل يعزف لها).

يـا الخْدِتْ روحي ويّاك ردّ روحـــــــي ليّـــــــه
خـــوفي مـــن النمّـــام يـــــــشمِّت بيَّـــــــه

(تنهي الأغنية ويتوقف عن العزف).

الرجل : أما زال الحب كما كان ونحن الآن في خريف العمر.

المرأة : الحب الحقيقي عصيٌّ على الزمن، إنه لا يهرم. هذا هو الحب الذي يلوي الذراع، ويكسر الركب.

الرجل : لو ينعكس مثل هذا الحب على الحياة العامة والعلاقات الإنسانية فلا يختصمون ولا يقتتلون ولا يؤذي أحدهم الآخر.

(*) نظم البنات أو الدارمي من الأدب الشعبي الفراتي الغنائي.

أعجب كيف يمكن أن يجمع الإنسان في قلبه مثل هذا الحب الذي جَمَعنا مع كره شديد لأخيه الإنسان. لقد فقدنا فردوسنا الأول.

المرأة : في العصر الأمومي كان الناس متحابين تقودهم المرأة وهي الأم والزوجة والأخت في آن معاً بكل ليونتها وعطفها، كانت رحماً حانياً للبشرية كلها، ولما جاء العصر الذكوري وأزيحت المرأة عن عرشها ذهب ذلك الفردوس وبدأ القتل والكره والحروب وشراسة الامتلاك.

الرجل : هل من سبيل للعودة إلى ذلك العصر.

المرأة : لا سبيل إلى ذلك، لقد قضي الأمر، وليس لنا إلا أن نكون متفرجين على مسرحيات القسوة هذه.. نتفرج ونراقب.

(إظلام)

- المشهد السادس -

(ترتفع إضاءة المسرح.

ضربة موسيقية ويدخل رجل له وجه حوّاري ميت اللون وهو يشبه شكل التيس، أذناه طويلتان متهدلتان، شعره طويل أزرق مجدول سبع جدايل تصل إلى أسفل ظهره. لحيته زرقاء كثة مَجْدولة في نهاياتها ثلاث جدايل وتصل إلى أسفل بطنه، يرتدي سروالا

فضفاضاً وثوباً سميكاً يصل إلى ركبتيه، ويضع على رأسه قبعة صغيرة ضيقة زرقاء (عرقية)، ثيابه كلها زرقاء، ويضع في عُبِّه كتاباً أزرق، ويتقلد سيفاً على جنبه.

يدخل باندفاع شاهراً سيفه وهو ينشد).

ذو اللحية الزرقاء:

بيضٌ صنائعنا خُضرٌ مرابعنا سودٌ وقائعنا حمرٌ مواضينا

هل من مبارز، هل من مُناجز؟

ذو اليد المبتورة: يخرب بيته، إنه يدخل والشر باد في عينيه.

ذو الوجه الأرنبي: هيه.. أنت.. يا ذا اللحية الزرقاء، هذه ليست ساحة حرب، أغمد سيفك وقل ماذا تريد؟

ذو اللحية الزرقاء: أريد أن أتوضأ أولاً. **(يخطو خطوتان نحو سبيل الماء).**

ذو الوجه الأرنبي: الماء مقطوع، وثانياً؟

ذو اللحية الزرقاء: (يغمد السيف ويعود) ثانياً أريد كامل التركة.

ذو الوجه الأرنبي: كامل التركة!؟ وكيف علمت بها؟

ذو اللحية الزرقاء: قرأت عنها في هذا الكتاب **(يخرج الكتاب من عبّه ويقلب على صفحة معينة) إنها مذكورة هنا. يقرأ قراءة منغمة كما في القدّاسات).**

فإذا جاء وعد الرب ودعاك السيد نون فعليك أن تجيب داعي النداء، فإذا وصلت القصر قبل العصر، فإن الرب يعطيك القصر ومن فيه، والتركة ومن عليها، بشرط ألا تغمد سيفك قبل أن يفنى كل أعدائك، ويصبح جميع الناس خدماً لك.. آمين.

ذو الوجه الأرنبي: أعد كتابك إلى عُبِّك، هذا لا ينفع هنا. وتعال نفكر جميعاً أين يمكن أن تكون تركة الرجل المريض؟ وما هي؟ ومتى يحضر السيد نون؟

ذات الملاءة السوداء: أنصحكم للمرة الأخيرة كفوا عن التفكير في هذا الأمر وعودوا إلى دياركم.. إنه من عمل الشيطان وما كان الشيطان لكم ناصحاً.

ذو اللحية الزرقاء: ومن هذه المرأة السافرة الكافرة عليها اللعنة؟ تحجبي يا امرأة.. ثم.. ثم كيف تخرجين إلى الشارع وتجيئين إلى هنا من دون مُحرم؟

ذو الوجه الأرنبي: اقصر لسانك واحترم النساء، هذه جاءت بهاتف مثلما جئنا ولكنها لا تريد أن تشاركنا في التركة وهي تقول: إنها أمنا جميعا. إنها روح الأرض التي منها خرجنا جميعاً وإليها نعود.

ذو اللحية الزرقاء: روح ماذا؟ روح الأرض!؟ هذا كفر آخر وزنى بالكلمات وتستحق هذه المرأة أن تجلد ألف جلدة.

ذو اليد المبتورة: يا وجه التيس، أليس لديك غير القتل والجلد وقطع الأيدي والأصابع؟

ذو اللحية الزرقاء: هذه حدود الله.

ذو اليد المبتورة: عليك اللعنة، يا ذا الجدايل الكافرة الخادعة، الله منكم براء، وأحسب أنك أنت أو واحداً مثلك قطع يدي ظلماً.

ذو الوجه الأرنبي: يا جماعة، كفى مشاحنات ودعونا نفكر في ما يجب أن نعمل.

ذات الملاءة السوداء: لقد دعوتكم إلى ما فيه سلامتكم وخيركم وأبيتم أن تعودوا إلى بيوتكم، سأعتزلكم ويحزنني أن دماء ستسيل إن لم تحكموا عقولكم.

(تتجه نحو سبيل الماء وتفتح الصنبور فيتدفق الماء، تغسل وجهها وتخرج).

ذو الوجه الأرنبي: هذه معجزة، أقسم بأن الماء كان مقطوعاً **(يتجه نحو السبيل ويفتح الصنبور فلا يتدفق منه الماء).**

ذو اليد المبتورة: **(يتقدم وينظر في الحوض)** الحوض جاف، كيف لم يبلله الماء، أكاد أجن. هذه المرأة إما ساحرة أو من أهل الله.

ذو الوجه الأرنبي: هذه مياه الأنوار يا جاهل، ألم تقرأ كتب المتصوفة؟

ذو اللحية الزرقاء: المتصوفة كلهم كفار يجب سلخ جلودهم وقطع رؤوسكم وصلبهم كما صلب الحلاج الزنديق عليه لعنة الله. ولكن دعونا من حديث الكفر ولنعد إلى موضوعنا، هل علينا أن ننتظر حتى يحضر السيد نون؟

ذو الوجه الأرنبي: أظن ذلك، لابد أن نبقى في انتظار السيد نون.. أنا أَقْدَم منكم في هذا المكان وأعرِف أكثر.

ذو اليد المبتورة: وإذا لم يحضر هل ننتظره إلى الأبد؟

ذو الوجه الأرنبي: سنرى ما يجب فعله ونتصرف حسب الظروف.

ذو اليد المبتورة : ومن هو السيد نون، هل لديك أية فكرة عنه؟

ذو الوجه الأرنبي: لعله هووو(*) أو أحد الأولياء الصالحين من أهل الستر والخطوة.

ذو اليد المبتورة : أو لعله القدر، أو الموت.

ذو الوجه الأرنبي: أو البحر؛ نون يعني بحر.

ذو اليد المبتورة: أو رجل مجنون أو شرير يرسل الرسائل يمنة ويسرة ويدعو الناس إلى ولائم الوهم.

ذو الوجه الأرنبي : وما أظنه إلا الشيطان نفسه.

(*) هووو: كناية لفظية عن اسم الله عند المتصوفة.

ذو اللحية الزرقاء: (شاهراً سيفه) اخرسا، أنتما تسخران وتجدّفان. السيد نون **(يصمت)** هو السيد نون. لابد أن يكون مولانا ومرشدنا وإمامنا الأكبر، ومن ينكر ذلك فهو مرتد، وعنق المرتد بالسيف تُحَدّ. **(يهز سيفه مهدداً).**

ذو اليد المبتورة: اغمد سيفك أيها المجنون. السلاح في يد الصرصار يجرح.

ذو اللحية الزرقاء: هل أنا صرصار يا أقطع؟

ذو اليد المبتورة: أنا لم أقل ذلك، آسف هذا مجرد مثل شعبي.

(يعيد ذو اللحية الزرقاء سيفه إلى غمده).

ذو الوجه الأرنبي: اسمعا، وردتني فكرة، اسمه ذو النون، أو السيد نون، لعل الحوت التقمه كما التقم النبي يونس من قبل ولم يلفظه البحر بعد فوق الشاطئ.

ذو اللحية الزرقاء: أحذرك، أنت مازلت تجديف وتسخر.. كن مؤدباً وجاداً وإلا.. **(يضع يده على مقبض السيف مهدداً).**

ذو الوجه الأرنبي: حسن، أنت يا أزرق، افتح كتابك، هل تجد فيه ما يشير إلى مكان الكنز؟

ذو اللحية الزرقاء: لا بد أن أجد فيه ما يشير إلى مكانه، هذا كتاب جامع مانع مؤلف منذ آلاف السنين كان ولم يكن معه شيء **(يخرج الكتاب ويقلب صفحاته ويتابع رفيقاه النظر في الكتاب)** انظرا، لقد وجدته، هذا هو النص **(يقرأ قراءة منغمة كما في القداس):**

إذا وصلت القصر قبل العصر فاحرص على ألا تفوتك شاردة ولا واردة، وبَوادِه الرب كثيرة(*)، وقد يحضر ذو النون في واحدة من تلك البواده، فإذا متع النهار ومالت الشمس للغروب ولم يحضر ذو النون فأزح الستارة ليتكشَّف لك الكنزُ تركةُ الرجل المريض. إني أنا الرب أهبك المال والأرض والجسد.

ذو الوجه الأرنبي: لم أفهم شيئاً من هذه الأسرار التي قرأتها، ولكن كيف لم نفطن إلى أن هذه الستارة تخفي وراءها الكنزَ تركةَ الرجل المريض؟

ذو اليد المبتورة: لقد صرَفَنا عنها أنا كنا ننتظر السيد نون فلم نبحث في المكان.

ذو الوجه الأرنبي: دعونا نفتح الستارة وننتهي من هذا الأمر.

ذو اللحية الزرقاء: هذه الستارة لا تفتح إلا بتلاوة كلمات مرصودة.

ذو اليد المبتورة: تقصد.. افتح يا سمسم.. يا سلام هل هي مسرحية للأطفال؟

ذو الوجه الأرنبي: نحن الأربعون حرامي فمن علي بابا؟

ذو اليد المبتورة: هو السيد الذي ننتظره.

(*) تعبير صوفي لما يرد على الخاطر بالحدس الصوفي.

ذو اللحية الزرقاء: كفى سخرية.. قفا ورائي، سر الستارة في هذا الكتاب، سأقوم بفتحها.

ذو اليد المبتورة: لا بأس، فلنجرب هذا الهراء.

(يقفان وراء الأزرق، يفتح الكتاب ويتلو عبارات غامضة بتنغيم معين).

ذو اللحية الزرقاء: همم.. حتى إذا.. م م م.. جاؤوها.. هم م م.. وفتحت أبواب ال.. هم م م م.. جحيم.. وقيل.. ادخلوا.. هم م م.. في الدماء.. دم دم م م ..

ذو اليد المبتورة: ألا تفتح الستارة إلا بالدماء؟

ذو اللحية الزرقاء: اخرس ولا تفسد عملي. **(يتلو العبارات التالية بتنغيم)** دم.. دم م م **(يغلق الكتاب)** افتحي يا ستارة، إني وهبت لك الجسد والدم والروح... افتحي.. افتحي.

(الستارة تنزاح ببطء وتحت إضاءة خاصة تكشف عن رجل مصلوب مازال فيه بقية حياة لكنه فاقد النطق والحركة).

الجميع: (مندهشون) أوه.. رجل مصلوب!؟

ذو الوجه الأرنبي: (يتفحصه) مازالت فيه بقية حياة. من يعرف هذا الرجل؟

ذو اليد المبتورة: من يدري؟ لعله أخ لنا، أو أحد أبناء عمومتنا.

ذو الوجه الأرنبي: أو أبونا أو جدنا الأكبر.

ذو اللحية الزرقاء: هذا رجل حليق، لا لحية له، لا ينتسب إلينا.

ذو الوجه الأرنبي: فليكن من يكون.. هذا هو الرجل المريض فأين التركة؟

ذو اليد المبتورة: لقد خُدعنا.

ذو اللحية الزرقاء: مهلاً.. **(يتطلع في الكتاب)** الكتاب يقول: امسحوا على عيونكم لترووا من جديد وتعرفوا ما يَخفى عليكم.

(يمسح ذو الوجه الأرنبي على عينيه ويقف على منصة مرتفعة قليلاً على خشبة المسرح).

ذو اليد المبتورة: ماذا ترى يا أرنب؟

ذو الوجه الأرنبي: إني أرى قمراً أسود يخرج عن مداره، وأرى شمساً منطفئة تبتلع أولادها. وأرى سهولاً تشتعل فيها النيران، وجبالاً تميد وتفقد وزنها فهي كالعهن المنفوش، وأرى شواطئ ملأى بجثث الحيتان والأسماك يقذفها البحر إلى اليابسة، وأرى أنهاراً وبحاراً وقد سُجِّرت.

وأرى دولاً تقسم، وحدوداً ترسم. وأرى الجن والشياطين بلحاهم الطويلة يسرحون ويمرحون في خرائب القرى.

(ينزل من المنصة ويصعد ذو اليد المبتورة ويمسح على عينه).

ذو الوجه الأرنبي: ماذا ترى يا أقطع؟

ذو اليد المبتورة: أرى الناس يحشرون وما من قيامة، ويعذبون وما من حساب.

وأرى مدناً خاوية من سكانها، ومهاجرين على الطرقات مشردين جائعين، ونازحين من بيوتهم محزونين.

وأرى المياه مقطوعة، والنيران مطفأة، والقدور فارغة.

وأرى أطفالاً يتضاغون، ونساء يغتصبن، ورجالاً يسحلون. **(ينزل)**.

ذو اللحية الزرقاء: (بسرعة وقوة وهو في مكانه واضعاً يده على مقبض سيفه) إني أرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها.

ذو الوجه الأرنبي: مهلاً أنت لا ترى شيئاً، هذه خطبة الحجاج، اصعد إلى المنصة وأعطنا رؤياك يا أزرق وكن صادقاً.

ذو اللحية الزرقاء: (يقف على المنصة ويمسح على عينيه) إني أرى عصا الراعي تلتهم جميع العصي وتبطل سحرها. وأرى نساء كاسياتٍ عاريات –عليهن اللعنة– مائلات مميلات، على رؤوسهن كأسنمة البخت.

وأرى الأَمَة تلد ربَّتها، ورجالاً يتطاولون في البنيان، والبدانةَ والأرياف والرعاة يغزون المدن العامرة فيحيلونها خراباً.

وأرى جثة على قارعة الطريق تأتيها الضباع من كل جهات الأرض تتناهشها.

وأرى.. وأرى أهوالاً لا يدركها وصف ولا تحيط بها عبارة..

يا لها من مشاهد تسر القلب **(ينزل)**.

ذو الوجه الأرنبي: كفى.. كفى.. فلنمسح على أعيننا مرة أخرى ولنخرج من هذا الكابوس.

(يمسحون على أعينهم ويهدؤون).

ذو اليد المبتورة: لقد عادت الرؤية كما كانت، رجل مريض مصلوب.

ذو الوجه الأرنبي: وتركة زائفة.

ذو اللحية الزرقاء: هي ملكي أنا.. أنا أعرف كيف أستخرج كنوزها. **(ينهمك في مطالعة كتابه)**.

ذو الوجه الأرنبي: هل سمعت؟ إنه يعلم أن وراء هذا المصلوب إرثاً كبيراً ويريد أن يستأثر به، وهو يعرف كيف يجده بكتابه هذا.. لكن.. لدي فكرة: ربما جسمه هو الكنز.

ذو اليد المبتورة: مهما يكن فإننا لن نسمح له بذلك، سنتقسمه سوية، ربما يأتي من يطالب بأجزائه فنصبح أغنياء.

ذو الوجه الأرنبي: وماذا نفعل بأجزائه؟

ذو اليد المبتورة: نبيعها لمن يشتريها بعد أن يتخلى الأزرق عن نصيبه، وإذا لم تُبع فإننا نجمعها ثانية ونعيدها إلى الحياة كما فعلت إيزيس حين جمعت أجزاء حبيبها أوزوريس، نضع له لحية ونبيعه قديساً **(يضحك لنكتته)**.

ذو الوجه الأرنبي: ولماذا تضحك؟ إنها فكرة جيدة. هل تعلم أن بعض الدول التي تحترم مواطنيها وتعتبر المواطن هو القيمة الكبرى في الدولة تقوم في الحروب بمبادلة جثة مواطن لها تقع في يد العدو أو بعض أجزاء جسده بمئات الأسرى، أو تدفع لتستعيده مبالغ طائلة.

ذو اليد المبتورة: نحن هنا نسمع بهذا ونعتبره ضرباً من الخيال.

ذو اللحية الزرقاء: بماذا تتهامسان؟

ذو اليد المبتورة: لا.. لا شيء.

ذو اللحية الزرقاء: (يغلق الكتاب) هيا.. عليكما أن تساعداني، سأنزل البضاعة وآخذها معي وسأكتشف من خلال تحليلها كل شيء.

ذو اليد المبتورة: ما هذه اللغة، بضاعة وتحليل وتأخذها أنت.. ونحن؟

ذو اللحية الزرقاء: إنها تخصني وأنتم لا شيء.

ذو الوجه الأرنبي: لا تأمل يا أزرق فإنما يمنّيك الشيطان.

ذو اليد المبتورة: تريد أن تستأثر بكل شيء وأنت الذي جئت متأخراً.

ذو الوجه الأرنبي: أنت لست منا، وجهك لا يشبه وجوهنا، وثيابك غريبة.

ذو اللحية الزرقاء: (يشهر سيفه) هي لي وقد أعطانيها الرب.

(الآخران يتناولان السكينين ويأخذان وضعية الحذر).

ذو اليد المبتورة: فلنهدأ ونتفاهم، لا أريد أن أفقد يدي الأخرى، دعونا نعمد إلى القسمة بالتساوي، أنا آخذ الذراعين والكتفين.

ذو الوجه الأرنبي: وأنا آخذ الساقين. وأعضاء الذكورة.

ذو اليد المبتورة: وأنت يا أزرق خذ الرأس فهوايتك المفضلة هي قطع الرؤوس.

ذو اللحية الزرقاء: لن يحصل أي منكم على شيء، أنتم مجرد خدم لي، والعبد لا يرث السيد، وليس بيننا غير حد السيف.

(يهجم عليهما وتبدأ معركة بين الثلاثة، تخبو الأنوار وترتجف إيحاءً بقسوة الصراع وشدته. يسمع عن بعد أصوات مدفعية وقصف بالطيران وتفجيرات، ثم يسود الظلام وتختفي الأصوات ويسمع في العتمة ثلاث صرخات ألم متتابعة: صرخة أولى ثم اثنتان في آن واحد، ثم يسود السكون التام.

تحت الإضاءة الخافتة وفي خلفية المسرح يعبر رتل من الناس مختلفي الأعمار والأجناس، متعبين ومجهدين بثياب رثة وشعر منفوش، يحملون أثقالاً على ظهورهم أو على عربات صغيرة يجرونها، ومنهم من يحملون أولادهم).

(إظلام)

- المشهد السابع -

(ترتفع الإضاءة، جثث الثلاثة مرمية على الأرض، وتتناثر على الأرض أيضاً أجزاء الرجل المريض، أما القلب فيبقى معلقاً مصلوباً على خشبة الصلب.

يفتح باب من أسفل جبل النار ويدخل السيد نون وتابعه متجهين نحو الطاولة الصغيرة (أو الإفريز). نون يضع على وجهه قناعاً حقيقياً بشكل ذئب وينتهي بقرنين صغيرين لا يكادان يظهران، ثيابه صفراء ذات لون منطفئ، وعلى كتفيه عباءة أو مشلحاً أزرق طويلاً ينسحب ذيله على الأرض، وهو يحمل بيده لفافة قماش أو ورق هي خارطة جغرافية .

التابع بقناع وجه قرد يرتدي ثياباً زرقاً، ويحمل على ظهره جعبة كجعبة السهام فيها لفافات خرائط عديدة).

السيد نون : حدث كما مرسوم، نحن نرسم خرائط العالم **(يأخذ المجحاف وقطعة الطين ويثبت لافتة تنكارية)** إننا نرث الأرض ومن عليها. **(يشير إلى الستارة فتنغلق، يفتح الخارطة التي في يده ويقول لتابعه)** هذا هو الهدف التالي، اكتب رسائل جديدة وأرسلها. **(يشير إلى القلب المصلوب الذي يضيء وينبض بشدة)** فجر هذا القلب قبل أن تخرج. **(يخرج)**

(التابع وقبل أن يخرج من الباب الذي دخل منه يقف أمامه وبيده جهاز تحكم، يضغط عليه فينفجر القلب، صوت انفجار هائل ثم يظلم المسرح).

- المشهد الثامن -

(ترتفع الإضاءة، الجثث الثلاث تكون قد اختفت وبقيت على الأرض أشلاء الرجل المصلوب، الشمعة على الطاولة اختفت أيضاً وبقي عليها المجحاف والطين وسكينان مغروزان فيها.

الستارة مسدلة في انتظار تدشين آخر.

تدخل ذات الرداء الأسود وبيدها سلة، تتجول في المسرح وتجمع أشلاء الرجل المصلوب)

ذات الرداء الأسود: لقد حذرتهم، كنت أعلم أن هذا سيحدث، وفي كل مرة تكون هنالك دماء وخسائر جديدة.

سأجمع الأشلاء الممزقة وأعيده إلى الحياة، كان لي الابن والزوج والأخ والوطن. **(تدمع عيناها)**.

كيف لا تدمع العين ويحزن القلب..؟ إنه ولدي وأخي وحبيبي ووطني.

(تنهي جمع الأشلاء) بقي القلب، إنه غير موجود، لقد فجروا القلب **(في حزن وحسرة)** لا بأس ستعود إليه الحياة ولكن ستكون بلا قلب.

(إظلام)

- المشهد التاسع -

(بقعتا ضوء على الرجل يعزف ويغني لحناً حزيناً والمرأة تغزل الصوف).

الرجل :

خلِّ عيني بهواهم تسيل ما دم **(ماء ودم)**
حزينة واللي يسرّها أوياي ما دم **(لم يدم)**
ما الخنسا بونيني عليكم ما دم **(ما آدم)**
على حوّا ولا البو عا مريه(*)

– النهاية –

حلب ٢٠١٥/٧/٤
١٧/رمضان/ ١٤٣٦

(*) الأبيات من الأبوذية وهي لون شعري غنائي فراتي.